شرح رسالة الأسباب و الأعمال التي يُضاعف بها الثواب

المقتبسة من كتاب: الفتاوى السعدية

تأليف العالم المحقق:

عبد الرحمن النصر السعدي

الشارح الشيخ الدكتور:

عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر

(الدرس الثاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على عبد الله و رسوله، نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين، أما بعد فيقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمهُ الله تعالى في جوابه على سؤال : ماهي الأسباب و الأعمال التي يُضاعف بها الثواب؟ فقال من جملة جوابه:

-والقليل من العمل مع الإخلاص الكامل يرجح بالكثير الذي لم يصل إلى مرتبته في قوة الإخلاص، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة تتفاضل عند الله بتفاضل ما يقوم بالقلوب من الإيمان والإخلاص؛ ويدخل في الأعمال الصالحة التي تتفاضل بتفاضل الإخلاص ترك ما تشتهيه النفوس من الشهوات المحرمة إذا تركها خالصاً من قلبه، ولم يكن لتركها من الدواعي غير الإخلاص وقصة أصحاب الغار شاهد بذلك.

الحمد لله رب العالمين و أشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، و أشهد أن محمدًا عبده و رسوله صلى الله و سلم عليه و على آله و أصحابه أجمعين، أما بعد؛ فلا نزال مع هذه الفتوى العظيمة النافعة للإمام عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله تعالى في جواب من سأله عن الأسباب و الأعمال التي تُضاعف أو يُضاعفُ بها الأجر و الثواب. و الشيخ رحمه الله تعالى أصَّلَ في هذا الباب تأصيلات نافعة و ذكر فيه قواعد جامعة و بيّن بوجوه عديدة ما يكون به تضعيف الأعمال و عِظم ثوابها عند الله تبارك و تعالى. و بدأ أولُ ما بدأ بالإخلاص و المُتابعة و بيّن ما للإخلاص من الأثر العظيم في رِفعةِ العمل و

عِظم ثوابه و تضعيف أجرهُ عند الله سبحانه و تعالى و ذكر على ذالكم أمثلة و كان منْ آخرُ ما أوْرد قول النبي عليه الصلاة و السلام (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) و (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)، فهذا التضعيف في الأجر و الثواب العظيم الذي يترتب على الصيام و القيام في شهر رمضان المُبارك عائدٌ ليس إلى صورة العمل فحسب بل لِما جاء في الحديث قال إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا أي إيمانًا بالله و احتسابًا لأجله و ثوابه مُخلصًا لعمله، مُريدٌ به وجه الله سبحانه و تعالى. و لهذا تتضاعف الأجور بحسب الإخلاص قوتاً و ضعفًا، زيادةً و نقصًا و عرفنا أن أهل الإخلاص يتفاوتون في إخلاصهم فمنهم من إخلاصه قوي كامل؛ و منهم من هو دون ذلك، و منهم من لا إخلاص عنده، فالأعمال تتضاعف تضاعفًا عظيمًا بحسب ما قام في القلوب من إخلاص للمعبود جل و علا. و ذكر رحمه الله بِناءً على ما سبق قاعدة شريفة في الباب ألا و هي أن الأعمال الظاهرة تتفاضل عند الله بتفاضل ما يقوم بالقلوب عند الإيمان و الإخلاص؛ أي أن صورة العمل الظاهرة تكون واحدة: صلاة و صلاة، مُتساوية في الركوع و السجود و التلاوة مثل المصلين خلف إمامًا واحد، يُكبرون سوِيًا و يُسلمون سوِيًا، فعملهم الظاهر واحد لكن الفرق بين هذا و ذاك كالفرق بين السماء و الأرض و السبب عائدٌ لِما قام في القلب من إيمانٍ و إخلاصٍ و صدقٍ مع الله تبارك و تعالى في تحقيق العبُودية و تكميلِها. ثم بيّن رحمه الله تحت هذه القاعدة مكانة الإخلاص و عظيم أثرِه في تضعيف العمل، قال: " ويدخل في الأعمال الصالحة التي

تتفاضل بتفاضل الإخلاص ترك ما تشتهيه النفوس من الشهوات المحرمة إذا تركها خـالـصـاً من قلبه" و هو رحمه الله تعالى يُنبه هُنا إلى أن الترك يُعدُ عملاً صالحًا، ترك الحرام و تجنب الآثام يُعدُ عملاً صالحًا في جملة و عدادِ أعمال العبد الصالحة التي يتقرب إلى الله سبحانه و تعالى بها. فكما أنه يُتقرب إلى الله جل و علا بفعلِ ما أمر فإنه كذلك يُتقرب إليه جل و علا بترك ما نهى عنه و زجر و لهذا قال العلماء: { **الترك يُعدُ عملًا** }، ترك ما نهى الله سبحانه و تعالى عنه يُعد في جملة أعمال العبد الصالحة و إذا قيل ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[1] يندرج تحت قوله عملوا الصالحات أي فعلوا الأوامر و تركوا النواهي فترك النواهي هذا معدودُ في جملة أعمال العبد الصالحة، و تأمل قول النبي عليه الصلاة و السلام عندما قال له الصحابة رضي الله عنهم:" **أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ يَكُونُ لَهُ بِهَا أَجْرٌ** ؟" قَالَ :{ **أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ**- أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ- **أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ** ؟} قالوا: "**نعم**"، قال:{**فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي حَلَالٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**}، فإعفاف المرء نفسهُ و منعُها و حجبُها على الحرام و إبعادُها عن ما نهى الله تبارك و تعالى عنه خوفًا من الله و رجاءً لثواب الله و تحقيقًا لتقوى الله سبحانه و تعالى و إخلاصًا لله سبحانه و تعالى؛ هذا باب شريف و عظيم جدًا و هو من جملة أعمال العبد

---

(1) [البقرة:277]؛[يونس:9]؛[هود:23]؛[الكهف:30]؛[مريم:96]؛[لقمان:8]؛[فصلت:8]؛[البروج:11]؛[البينة:7].

الصالحة التي ترتفع درجاته عند الله سبحانه و تعالى و يعلوا مقامه عنده. ثم إذا قوِيتْ، إذا قويَ داء الشهوة و قويَ داء الحرام و كثرت المُغريات التي تدفع بالمرء دفعًا إلى فعل الحرام ثم تركها لا لشيء إلا خوفًا من الله؛ ما أعظم هذا العمل، ما أعظم هذا العمل و ما أجل قدره و ما أعظم ثوابه عند الله سبحانه و تعالى، تكون نفس الإنسان مُندفعة و المُغريات من حولهِ مُتكاثر تدفعُه للحرام و يترُكها لا لشيء إلا خوفًا من الله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [2] فيمنعه من ذلك خوف الله، هذا من الأعمال العظيمة الجليلة التي يُتقرب بها إلى الله سُبحانه و تعالى و لهذا سيأتي معنا أن الذين أطبقت عليهم الصخرة في الغار، أحدهم توسل إلى الله بعمله الصالح الذي هو تركه للزنا خوفًا من الله؛ لما خوفته بالله سبحانه و تعالى استجاب لهذا التخويف و ترك هذا الأمر مع قوة الداعي و قوة الرغبة و اشتداد الشهوة عنده و تحري هذا الأمر من زمن طويل ثم لما تهيأ لهُ و جلس بين رجليْها ذكّرته بالله و خوّفته فخاف من الله و توقف و امتنع عن العمل. فإذن ترك الإنسان للمُحرمات، تركُه للمعاصي و الآثام لأجل الله سبحانه و تعالى هذا معدودٌ في أعمال العبد الصالحة. تأمل هُنا في هذا المقام شأن الإخلاص؛ من الناس من يترك الحرام، من الناس من يترك الحرام ليس خوفًا من الله و إنما مثلًا خشية الفضيحة؛ أو مثلًا خشية تأثر السمعة؛ أو مثلًا

---

(2) [المائدة:28]؛[الأنفال:48]؛[الحشر:16]

خشية أن يُدرى به و تقع عليه العقوبة؛ أو مثلًا حفظًا لصحته؛ أو؛ أو؛ إلى أغراض كثيرة جدًا يمتع فيه بعض الناس عن فعل الحرم و يتجنب الحرام فعلًا، هذا قُصار أمرِهِ أنه سلِم من إثم هذا الذنب و من عقوبة هذا الذنب، سلِم من العقوبة لكنه لا يُحصل الأجر لماذا؟ لأنه لا يُمكن أن يدخل في عملك الصالح، لا يُمكن أن يدخل في عملك الصالح إلا ما نويْت به وجه الله سبحانه و تعالى سواءً في باب الفعل أو في باب الترك. لا يُمكن أن يدخل في عمل الإنسان الصالح إلا ما نوى به التقرب إلى الله؛ ما قصد به وجه الله؛ ما طلب به ثواب الله سبحانه و تعالى، فذالك الذي يترك المعصية لأسباب و أخرى ليست عائدة لطلب ثواب الله و الدار الآخرة لا تدخل في صالح عمله، لا يدخُل في صالح عمل العبد إلا ما قصد به وجه الله سبحانه و تعالى و بهذا يكون من الأعمال الصالحة، أما إذا لم يقم على الإخلاص و نية التقرب لله عز و جل لا يدخل في عداد الأعمال الصالحة التي يترتب عليها الأجر و الثواب. قال: "ويدخل في الأعمال الصالحة التي تتفاضل بتفاضل الإخلاص ترك ما تشتهيه النفوس من الشهوات المحرمة إذا تركها خالصاً من قلبه،" إذا تركها خالصاً من قلبه بمعنى أن من الناس من يترُكها ليس خالصًا من قلبه، لا يترُكها للإخلاص، يترك الزنا يقول أخشى أن أمرض مثلًا؛ أو أصاب بهذه الأمراض التي انتشرت؛ أو يخشى أن يُطلع عليه و يُعاقبْ؛ أو؛ أو من الأمور الكثيرة. هذا قُصار أمرِه كما قدمت أن يسلم من إثم هذا الذنب و من العقوبات المُترتبة عليه أمّا تحصيل الأجور و الثواب على هذا الترك لا يكون إلا بالنية الصالحة الخالصة لوجه الله سُبحانه و تعالى. قال: " إذا تركها

خـالـصـــاً من قلبه، ولم يكن لتركها من الدواعي غير الإخلاص،" و لم يكن لتركها من الدواعي غير الإخلاص بمعنى أن هناك دواعي تجعل الإنسان يترك المعصية غير الإخلاص، كثيرة جدًا فهذه الدواعي إذا كانت هي التي دفعته لترك المعصية لا يدخل هذا الترك في صالح العمل، بل لا يدخل هذا الترك في صالح العمل إلا إذا أخلص فيه العامل لله سبحانه و تعالى. مثّل رحمه الله تعالى على ذالكم بقصة أصحاب الغار، قال: "وقصة أصحاب الغار شاهد بذلك" و القصة مُخرجة في الصحيحين و غيرِهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:{ **بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله**- و في رواية خالصةً لله، و في رواية فليدعُ كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه مع الله، لاحظ الروايات: خالصًا لله؛ صالحة لله؛ صادقًا فيها مع الله، ليتوسل كل واحد منكم بوسيلة من هذه الوسائل لعل الله سبحانه و تعالى يفرج عنا ما نحن فيه. - **فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني**- هذا دَأْبُهُ و عادته يسقي والديه قبل بنيه- **وأنه نأى بيّ ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما**- وجد والداه قد ناما- **فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره**

أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغوْن- يصيحون، يبكون- **يتضاغوْن عند قدميّ فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك** – و هذا موضع الشاهد-، **فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة نرى منها السماء**- قال: إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، قولهُ "إن كنت تعلم" و سيأتي أيضًا في دعوات الآخريْن؛ إن كنت تعلم، التردد في العلم هنا "إن كنت تعلم" الاعتبار فيه ليس عائد لعلم الله، علم الله سبحانه و تعالى مُحيطٌ بكل شيء و إنما الاعتبار عائدٌ هنا لجهل الإنسان بالأمور و جهله لمآلاتها و عقائدها فيُفوض الأمر إلى الله سبحانه و تعالى مُتوسلًا إليه بعلمه جل و علا الذي أحاط بكل شيء – قال: **ففرج الله منها فُرجة فرأوا منها السماء**- هذا بدايات الفرج، فرج الله منها فُرجة فرأوا منها السماء- **وقال الآخر اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء** – حب شديدًا قام في قلبه لابنة عمه – **وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتِيَها بمائة دينار** – حتى آتِيَها بمائة دينار- **فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها** – تأمل هذه المُقدِمات أولًا القلب، قلبه علق حُبًا و شهوةً و رغبةً و ثانية أنها علقت هذا الأمر بأن يُحظر لها مائة دينار و تعب في جمعها فمع هذا الشوق و مع هذا الجمع و مع هذا الوقت الطويل و الحرص على هذا الأمر- قال: **فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها**- فلما وقعت بين رجليها- **قالت: يا عبد الله اتق الله** – يا عبد الله اتق الله – **ولا تفتح الخاتم إلا بحقه** – الله أكبر يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه- **فقمت**

عنها – ما الذي أقامه؟ رجل الشهوة تأصلت و تجذرت في قلبه و مضى وقتًا طويلًا يتطلع إلى هذه اللحظة و هذه الساعة و لّما علقت الأمر بالمال جمع المال و تعِب في جمعه ثم لّما جلس بين رجليها، أمرٌ طال الوقت ينتظرُه و بشغف شديدٌ إليه، فلما جلس بين رجليها قالت اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه؛ فقام الرجل، ما الذي أقامه؟ و قد ذكّرته بتقوى الله عز و جل- **فقمت عنها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة**- فعلت ذلك ترك الحرام لأجل الله فعل صالح و عمل صالح من أعمال العبد الصالحة. و تأمل قولهم: "أعمالا عملتموها صالحة" فهذا عمل صالح، من أعمال العبد التي يتقرب بها إلى الله يترك الحرام خوفًا من الله، يترك الحرام تقوى لله سبحانه و تعالى كما صنع هذا الرجل- **وقال الآخر اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز**- مِكيال- **بفرق أرز فلما قضى عمله**- أي الأجير- **قال أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه**- فرغب عنه لم يقبل أن يأخُذهُ يقول: "فلم أزل أزرعه" يزرع هذه الحبوب و يعتني بها-قال: **فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا و رعاءها فجاءني فقال اتق الله ولا تظلمني حقي قلت اذهب إلى تلك البقر و رعائها فخذها**- فرق مِكيال ثلاث أصْطُعْ تقريبًا ثم يقول له اذهب إلى هذه البقر و رعائها و خذها، ماذا قال الأجير؟- **قال اتق الله ولا تهزئ بي**- اتق الله ولا تهزئ بي- **فقلت إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر و رعاءها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا ما بقي ففرج الله ما بقي}** سبحان الله، سبحان الله الآن عندما تتأمل

بعض من يستأجرون الأجرة؛ حقيقة يحصل وقائع مُؤلمة جدًا، تجد العامل الفقير المحتاج و أسرته في بلده في فقرٍ شديد ثم يُستأجرعلى عملٍ ما، من زراعة أو حفرٍ أو غير ذلك فيجْهد فيه في شدة الشمس و وهج الحرارة و شدتها و يعمل و يتصبب عرقًا شهرًا و شهرين و ثلاثة ثم يأتي و يطلب حقه، يطلب أجرته من رجلٍ غني، مُوسِعٍ عليه في المال، ثم يُماطل؛ بل بعضهم لا يُعطي ذلك الأجير أجرهُ. الناس سبحان الله كيف يستطيع أن يمنعهُ حقهُ؟!، أن يمنعهُ حقهُ ثم معهُ سِعة في المال!! إذا أعطى هذا الأجير أجرهُ يُعطيه من طرفِ ماله، شيء لا يُؤثِر عليه و مع ذلك يشُحُ بعضهم بإعطائه حقهُ و يُماطل و يُؤخره الشهور و السنوات. و هذا تقرب إلى الله سبحانه و تعالى بهذه القُربة، فعلها لأجل الله سبحانه و تعالى مُتقربًا إليه؛ فأعطاهُ هذا المال بما ترتب على المال من نمى و آثار حتى إن العامل لم يكن يُصدق، ضنهُ يستهزئ به و يسخر منه. فعل ذلك لأجل الله سبحانه و تعالى؛ ففرج الله ما بقي و خرجوا يمشون. فهذه ثلاثة قُرب تقرب بها هؤلاء إلى الله سبحانه و تعالى ثم في هذه الشدة و صنائع المعروف تقي مصارع السوء، في هذه الشدة كل واحد توسل بعملٍ من أعماله: أحدهم ترك أن يُعطي أبناءهُ مُؤثرًا والديه و غير راغبٍ في تقديم أبنائه عن والديه؛ و الثاني ترك الزنا مع شدة الشهوة و عِظم الرغبة و قوة الداعي لأجل الله سبحانه و تعالى؛ و الثالث ترك هذا المال مع تطلع النفس له و رغبته فيه و حرصها عليه تركهُ و أعطاهُ لصاحبه، لذلك الأجير، فكان ترك هؤلاء الثلاثة كله من القُرَبْ الذي تقربوا بها إلى الله سبحانه و تعالى فكان وسيلة صالحةً و سببًا مُباركًا لأن فرج الله سبحانه

و تعالى عنهم الصخرة و خرجوا يمشون. فإذن هذا توسل إلى الله عز و جل بترك ما نهى عنهُ تقربًا إليه. و الشاهد من القصة للموضوع أن هؤلاء الثلاثة كلهم قامت هذه التروك عندهم على الإخلاص لله و قصد التقرب إليه سبحانه و تعالى فدخلت في جملة قُرباتهم و كانت من أيضًا عظيم أعمالهم التي توسلوا إلى الله سبحانه و تعالى بها فكانت سببًا للفرج و زوال الكرب و الشدة. نعم.

قال رحمه الله تعالى:

ومن أسباب المضاعفة ـ وهو أصل وأساس لما تقدم ـ : صحة العقيـــدة، وقوة الإيمان بالله وصفاته، وقوة إرادة العبد، ورغبته في الخير؛ فإن أهل السنة والجمـاعة المحضة، وأهل العلم الكامل المفصل بأسماء الله وصفاته، وقوة لقاء الله، تضاعف أعمالهم مضاعفة كبيرة لا يحصل مثلها، ولا قريب منها لمن لم يشاركوهم في هذا الإيمان والعقيدة.

- ولهذا كان السلف يقولون: أهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهـــل البدع إن كثرت أعمالهم، قعدت بهم عقائدهم، ووجه الاعتبار أن أهل السنة مهتدون، وأهل البدع ضالون. ومعلوم الفرق بين من يمشي على الصراط المستقيم، وبين من هو منحرف عنـــه إلى طُرق الجحيم، وغايته أن يكون ضالاً متأولاً.

ثم ذكر الإمام بن سعدي رحمه الله تعالى سببًا آخر من أسباب تضعيف الأجور قال: "وهو أصل وأساس لما تقدم "، و أصلٌ و أساسٌ لِما تقدم صحة العقيـــدة، وقوة الإيمان بالله وصفاته، وقوة إرادة العبد، ورغبته في الخير ؛ و وصف رحمه الله تعالى هذا بأنه أصل، أصلٌ و أساس عليه بِناء الدين كُله كما قال الله سبحانه و تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ و الإمام مثله مثل الشجرة و كما أن الشجرة التي لها فُروعها و لها ثِمارُها لا تقوم إلا على أصل فكذلك الإيمان بأعماله و صفوف طاعاته و عِباداته لا يقوم إلا على أصل، فالإيمان لا يقوم إلا على أصله و لهذا قال الله سبحانه ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ المائدة: ٥ أيُ فائدة للأعمال و إن كثُرت إن لم تكن قائمة على العقيدة الصحيحة، إن لم تكن قائمة على الإيمان بالله تبارك و تعالى. و لهذا الأعمال و إن كثُرت و تنوعت و تعددت و تنوعت منافِعُها و آثارها لا ينتفعُ بها العامل إذا لم تكن قائمةً على الاعتقاد الصحيح، ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣ أي أعمالهم كلها تذهب هباءً و تضيع سُدًا و لا ينتفعون منها بشيء ما لم تكن الأعمال قائمةً على الاعتقاد الصحيح و لهذا ترى في آيات كثيرة جدًا في القرآن الكريم يُذكر الإيمان قَيْدًا لقبول الأعمال و شكر العامل عليها و ترتب الثواب و الجزاء كقوله سبحانه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ - قيد - فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ النحل: ٩٧ أي لا يكفي العمل الصالح إلا بهذا القيد ﴿ مَنْ عَمِلَ

صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ النحل: ٩٧ و قال جل و علا ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٩ و في القرآن آيات كثيرة تقرب من الخمسين أو تزيد ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [1] ، ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [1] فالعمل الصالح مهم كثر و تنوع لا يكون مقبولًا، مشكورًا، مرضِيًا عند الله سبحانه و تعالى إلا إذا أقامه العامل على الإيمان بالله و من المعلوم أن أهل الإيمان يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا فيما يقوم في قلوبهم من الإيمان؛ فالإيمان الذي يقوم في القلوب درجات و لهذا في الحديث قال: { **أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، و فِي قَلْبِهِ أدنى مثقال ذرة من الإيمان** } فالقلب قد يكون فيه مثقال ذرة؛ قدرًا يسير جِدًا و قد يمتلأ تمامًا إيمانًا، مثل ما قال عليه الصلاة و السلام عن عمار بن ياسر رضي الله عنه و أرضاه قال: { **إن عمار بن ياسر مُلِيء إيمانًا حتى مشاشه** } حتى أطراف قدميْه، مُليء إيمانًا { **إن عمار بن ياسر مُلِيء إيمانًا** } فمن الناس من يمتلأ تبارك الله، يمتلأ إيمانًا و منهم من ليس فيه، في قلبه من الإيمان إلا مقدار حبة من خردل. فيتفاوت الناس في هذا الإيمان في القلب

قوتًا و ضعفًا، زيادتًا و نفقًا، تفاوتًا عظيمًا؛ هذا التفاوت الذي يكون في القلوب في الإيمان يترتب عليه تفاوت عظيم في ثواب الأعمال، نعم يترتب عليه تفاوت عظيم في ثواب الأعمال: شخصٌ مُليء قلبه إيمان هل تستوي عبادته مع عبادة شخص ليس في قلبه من الإيمان إلا حبة خردل؟ هل يستوي أجرهما؟ هل يستوي ثوابهما؟ شخص امتلأ قلبه إيمانًا هل يُساوي عمله شخص ليس في قلبه إلا مقدار حبة خردل، حبة خردل من إيمان؟ لا واللهِ، لا يستويان و لهذا لم يكن أحد يَعْدِلْ بصدّيق الأمة رضي الله عنه و أرضاه، و رُوِيَ في بعض الأحاديث أنه لو وُزن بإيمان أو لو وُزن بإيمان الأمة لوزنها. و في صحيح البخاري عن بن عمر قال:{ **كُنا لا نَعْدِلْ بأبي بكر أحدًا**} و المُراد بالفضل و المكانة و الإيمان و العُبودية لله سبحانه و تعالى، لا نَعْدِلْ بأبي بكر أحدًا. فلا يُمكن أن يُسوى عمل شخص امتلأ قلبه إيمانًا و بين شخص إيمانه بقدر يسير جِدًا، حبة خردل من إيمان. فهذا الإيمان الذي في القلب و هذه العقيدة التي في القلب لها أثرُها، لها أثرُها. و الإمام بن سعدي رحمه الله تعالى لما يذكر هذا الأصل يُنبه على أهمية العناية بتعلم العقيدة و دراستُها و أن تعتني يا عبد الله بأن تُقوى مكانة العقيدة و مساحتها في قلبك؛ لا يكون الاهتمام بصورة العمل الظاهر مع الإخلال بالباطن و القلب بل ينبغي على العبد أن يعتني عناية دقيقة جِدًا بتقوية الإيمان في قلبه، تقوية العقيدة في قلبه، ترسيخ العقيدة في قلبه لأن الإيمان بأمور الإيمان التي طُلِب الإيمان بها الناس فيها على درجتان من حيث الجملة: درجة الإيمان الراسخ؛ و درجة الإيمان الجازم. الإيمان الراسخ هو هذا الذي ملأ القلب و عَمَرَ الفُؤاد و

أصبح حاضِرًا في كُل مقام و في كُل حال إذا صلى صلى بإيمان، إذا دعا دعا بإيمان، إذا صام صام بإيمان، معه إيمانهُ في أحواله كلها؛ عامِرًا قلبه، مالأً فُؤاده، ففرق بين العملين، فرق بين العملين و فرق شاسعٌ بين العاملين. قال:" صحة العقيـــدة"، صحة العقيدة أي أن تكون العقيدة التي في القلب عقيدة صحيحة، قائمة على الكتاب و السنة، مُستمدة من كلام الله و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام. و قوله "صحة العقيدة" نعم قد يكون في القلوب عقائد لكنها عقائد فاسدة، عقائد باطلة، عقائد ما أنزل الله تبارك و تعالى بها من سلطان فماذا تُفيده تلك؟! و ماذا تنفعه؟! و كيف يكون نماء شجرة قامت على أصلٍ فاسد؟! كيف يُرجى نماء شجرة قامت على أصلٍ فاسد و أساس منهار؟! فصحة العقيدة له أثر عظيم جدًا في تضعيف الأعمال؛ قوة الإيمان بالله سبحانه و تعالى و بصفاته؛ هذا باب يتفاوت فيه أهله تفاوتًا عظيمًا. أنت في هذا الباب جرب نفسك عندما يُكرمك الله بحضور مجالس مثلًا في فقه أسماء الله أو في قراءة كتابات في فقه أسماء الله تبارك و تعالى و معرفة معانيها، كيف تري قلبك على أثر هذا التفقه و المعرفة بأسماء الله تبارك و تعالى و صفاته سبحانه و تعالى، يجد الإنسان من نفسه هو بَوْنًا شاسعًا بين حاليْه استحضارًا لهذا الباب أو عدم استحضار الله، يجد تفاوتًا عظيمًا و يجد أيضًا تأثيرًا لهذا الإيمان على أعماله، على سلوكياته، على خشوعه، و خضوعه لله سبحانه و تعالى، على قوة أعمال القلوب المتنوعة في قلبه: الحب و الرجاء و الخوف و غير ذلك من أعمال القلوب؛ كلها تتحرك، كلها تتحرك تبعًا لهذه المعرفة و لهذا قال بعض السلف قديمًا: { **من كان بالله أعرف كان**

منه أخوف}، ابن القيم رحمه الله ذكرها في بعض كُتبه و زاد عليها زيادات مليحة قال:{ **من كان بالله أعرف كان منه أخوف و لعابدته أطلب و عن معصيته أبعد**} و أضف إليها ما شأت من الأعمال و الطاعات و التقربات و التجنب للمحرمات. فعادت الخيرات كلها إلى صحة المعرفة بالله و صحة الإيمان به سبحانه و تعالى. و قد قال الله في القرآن ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: ٢٨ ماذا قال حبر الأمة بن العباس رضي الله عنهما في معنى الآية؟ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: ٢٨ ،﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: ٢٨ بن عباس رضي الله عنهما قال في معنى هذه الآية أي" العلماء "بأن الله على كُل شيء قدير، هذا معنى الآية قال العلماء بأن الله على كل شيء قدير. هذا الإيمان الذي هو أساس في الاعتقاد هل هو حاضر في قلب العبد المؤمن في مقاماته، و في أحواله، في مصائبه، في الأمور التي لا محك في هذه الحياة. قد قال عليه الصلاة و السلام:{ **و إذا أصابك أمر فلا تقل لو أني فعلت كذا و كذا و لكن قل قدر الله و ما شاء فعل**} من هو هذا الذي يحضر معهُ هذا الإيمان في كل هذه الأحوال و كل هذه المقامات؟. قال "العلماء" بأن الله على كل شيء قدير إذن العلم بأن الله على كل شيء قدير و العلم بأسمائه جل و علا و صفاته و عظمته و جلاله و كماله عز و جل، كم لهذا الأثر،كم لهذا الإيمان من أثر على العبد في طاعاته و عُبودياته و تقرباته إلى الله سبحانه و تعالى. و قوله رحمه الله:" وقوة إرادة العبد" وقوة إرادة العبد

أيضًا الإرادة التي في القلب وقوة إرادة العبد، الإرادة التي في القلب يتفاوت فيها أهل العبادة تفاوتًا عظيمًا. منهم من عنده إرادة ضعيفة و منهم من عنده إرادة قوية جدًا فيتفاوتون في الإرادة. و في الدُعاء المأثور{ **اللهم إني أسألك العزيم على الرشد**} كم من رشدٍ يبلغ أسماعِنا و يصل إلى أذهاننا و عقولنا و تضعف إراداتنا عن عمله مع أننا نُدرك نفعه و فائدته و أثرهُ و ثمرته، ندرك ذلك لكن تضعف إراداتنا عن النهوض للقيام به، فيتفاوت الناس في الإرادة و كذلك أيضًا من جهة أخرى أناس يريدون الخير و أناس يردون الشر. و في كل ليلة من ليالي رمضان يُنادي مُنادي{ **يا باغي الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر**} لأن النفوس تتفاوت؛ نفوس تبغي الخير و تتشوف له و تتطلع إليه و تريده و أيضًا هذه الإرادة للخير يتفاوتون فيها تفاوتًا عظيمًا، فإذا قويت إرادة الخير في القلب كيف تكون الأعمال؟ إذا قويت إرادة الخير في القلب، إذا وفق الله سبحانه و تعالى العبد إلى إرادة قوية للخير، قامت في قلبه فهذا له أثر عظيم جدًا في تضعيف الأعمال. الأمر الرابع قال: "ورغبته في الخير" بمعنى أن تكون نفسه ميالة للخير ترغب فيه، تتحراه، تبحث عنه، تتطلع إلى أوقاته، تتشوف لمجيئه، رغبة للخير و حرصًا عليه. فهذه المعاني كلها في القلب و لها أثرها العظيم البالغ في تضعيف الأعمال: صحة العقيدة؛ قوة الإيمان بالله و صفاته؛ قوة إرادة العبد و رغبته في الخير. ثم قال رحمه الله:" فإن أهل السنة والجماعة المحضة، وأهل العلم الكامل المفصل بأسماء الله وصفاته، وقوة لقاء الله، تضاعف أعمالهم مضاعفة كبيرة لا يحصل مثلها، ولا قريب منها لمن لم يشاركوهم في هذا الإيمان والعقيدة " قوله رحمه الله "أهل السنة والجماعة المحضة" أي الخالصة التي لم تُشذ

بشوائذ البدع و المحدثات، السنة المحضة التي قال عنها عليه الصلاة و السلام: { **مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي**} هذه السنة المحضة التي تُوافق هدْيَهُ، تُوافق ما كان عليه صلوات الله و سلامه عليه و ما كان عليه صحابتهُ الكِرام، على نفس النهج و الطريق الذي كان عليه صلى الله عليه و سلم، لا يميل عنه يمينًا و لا شِمالًا، لا يُحْدِثُ و لا يُغير و لا يُبدل؛ السنة المحضة أي الخالصة، الصافية، النقية، التي لم تُشذ ببدع و لم تُصب بمحدثات. قال:" وأهل العلم الكامل المفصل بأسماء الله وصفاته " أيضًا هذا باب، باب في العلم يتفاوت فيه الناس تفاوتًا عظيمًا و له أثرٌه في تضعيف الأعمال؛ العلم المُفصل بأسماء الله و صفاته. فمن الناس من يعرف بعض الأسماء و لا يعرف معانيها؛ من الناس من في جيبه ورقة إذا أصبح قرأها و إذا أمسى قرأها، فيها تسع و تسعين اسمًا من أسماء الله مع أن هذا العمل لا يُشرع و لا دليلٌ على مشروعيته، و هو تقرب إلى الله سبحانه و تعالى بما لا دليلًا عليه لكن إذا نظرت مع هذه المواظبة على هذه القراءة، إذا نظرت في فقه، في فقه أسماء الله و معانيها و مدلولاتها و العبوديات التي يختص بها كل اسم؛ ما من اسم من أسماء الله إلا و له عبودية يختص بها، هي من موجبات الإيمان بهذا الاسم و مقتضيات معرفته و الإيمان به. فتجد في هذا الباب يجهلهُ تمامًا و لهذا قال العلماء إحصاء أسماء الله الذي جاء في الحديث { **إن لله تسعة و تسعون اسمًا** -مائة إلا واحدًا- **من أحصاها دخل الجنة**}:" ثلاث مراتب: حِفظها؛ و فهم معانيها؛ و العمل بما تقتضيه". حِفظها؛ و فهم معانيها؛ و العمل بما تقتضيه بهذه الأمور الثلاث، هذه المراتب الثلاثة يُحقق هذا الإحصاء الذي أُرشد إليه في

هذا الحديث و كان مُوجبًا لدخول الجنة، قال من أحصاها دخل الجنة. و هذا فيه التنبيه إلى الأثر العظيم المُبارك لمعرفة أسماء الله و الفقه فيها في نَيْل الدرجات العالية و تضعيف الأجور و الفوز برضا الله سبحانه و تعالى و دخول جناته. قال: "وقوة لقاء الله"، وقوة لقاء الله أي أهل العلم الكامل المُفصل بأسماء الله و صفاته، وقوة لقاء الله يعني ما قام في قلوبه من إيمانٍ قوي بلقاء الله سبحانه و تعالى و قد ذكر رحمه الله كلامًا نفيسًا، جميلٍ أُحيلكم إليه في كتاب فتح الملك العلامة في العقائد و الأداب و الأحكام المُستنبطة من القرآن و هو مطبوع، قال إن الإيمان باليوم الآخرة على درجتين، الإيمان باليوم الآخرة على درجتين، درجة الإيمان الجازم و هذا هو الحد الذي لا يُقبل أقل منه لأنه ليس بعد الإيمان الجازم إلا الشك و الثانية درجة الإيمان الراسخ و هي التي يتحدث عنها هنا؛ الإيمان الراسخ هو ذلك الإيمان باليوم الآخر الذي يكون حاضرًا في قلب العبد في كل مقام؛ إذا بدأ يضع قدمهُ يتذكر هل هذه الخُطوة التي أخطُوها تنفعني في الدار الآخرة أو تضُرني؟ فيخطُ و هو دائمًا يخطُ خطواته و يقوم بأعماله و هو يستحضر دائمًا و يستذكر اليوم الآخر و الجزاء و الحساب و الوقوف بين يدي الله تبارك و تعالى، و لهذا الذي يُؤتى كتابه باليمين ماذا يقول؟ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾

إِنِّي ظَنَنتُ -أي اعتقدت- أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحاقة: ١٩ – ٢٠، ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحاقة: ٢٠ يعني في الحياة الدنيا كنت أعتقد اعتقادًا راسخًا

أنني سألقى الله فكانت أعمالي وُفق هذا الاعتقاد،﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحاقة: ٢٠ في كُل مقام في كل حالة يتذكر أن هُناك حساب و جزاء و عِقاب و جنة و نار، فيخطُ في ضوء ذلك. فرق بين من قام في قلبه هذا الإيمان الراسخ و من يُباشر الأمور و يستبعد من ذهنه الحساب و الجزاء و إن كان في الأصل لا يُنكر الحساب و عنده إيمان جازم به لكنه ليس راسخًا في قلبه و لا مُتمكنًا من نفسه و لم يُعمر قلبه بهذا الإيمان. قال: " تضاعف أعمالهم مضاعفة كبيرة لا يحصل مثلها، ولا قريب منها لمن لم يشاركوهم في هذا الإيمان والعقيد".و هذا مثل ما قدم رحمه الله أن صحة العقيدة و قوة الإيمان سبب لتضعيف الأعمال. قال: ولهذا كان السلف –ولهذا كان السلف يقولون–: أهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم ما معنى قعدت بهم أعمالهم؟ أي ليس عنده أعمال كثيرة، ليس عنده أعمال كثيرة عنده صحة اعتقاد لكن لم يكن له كثير عمل في الرغائب و النوافل و المُستحبات، لم يكن عنده كثير عمل في ذلك، قال:" أهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم" أي عقائدهم الصحيحة و أهل البدعة، وأهـــل البدع إن كثرت أعمالهم،–إن كثرت بهم أعمالهم– قعدت بهم عقائدهم، لأن العقيدة الفاسدة تُؤثر في العمل حتى لو كان كبيرًا، تُؤثر في العمل تأثيرًا بالِغًا و الله جل و علا قال ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ

ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ الكهف: ١٠٣ - ١٠٤ لم يكونوا قاعدين عن العمل، كانوا يعملون و يُكثرون من العمل و لكن عقائدهم قعدت بهم، عقائدهم الفاسدة قعدت بهم. بينما صاحب السنة إن قعدت به أعماله لقلتها و عدم كثرتها تنهض به و تقوم به عقيدته الصحيحة. ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه اجتماع الجيوش يقول:{ **فإن السنّة حصن اللّه الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين. تَقُومُ بأهلها**-أي السنة-، **وإن قعدت بهم أعمالُهُمْ** }، تقوم بأهلها و إن قعدت بهم أعمالهم فإذا كان الإنسان على السنة الصحيحة و العقيدة السليمة و الإيمان القويم حتى و إن قلت أعماله و ضعفت، إن قعدت أعماله و ضعفت تنهض به بإذن الله سبحانه و تعالى عقيدته لكن أيضًا و هذا باب مُهم و نبه عليه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى تنبيهًا عظيمًا إما في مدارج السالكين أو في إغاثة اللهفان، ذكر رحمه الله أن الشيطان يتدرج مع العبد إذا أقبل على الطاعة و العبادة في خُطواته و أول ما يبدأ به يكون حريصًا عليه أن يُوقعهُ في الشرك فإن لم يجد سبيلًا إلى ذلك اشتد حرصهُ عليه في أن يُوقعه في البدعة، و إن لم يجد سبيلًا على ذلك اشتد عليه في أن يُوقعهُ في الكبيرة و المعصية و ترك الواجبات، يحرص على أن يُوقعه في المُحرمات و يُبعدهُ عن فعل الواجبات. و ذكر بن القيم رحمه الله أن من مداخِل الشيطان و مما يُحدث الشيطان به الإنسان في هذا المقام، يقول له أنت صاحب سنة، يقول له أنت صاحب سنة و بعيد

عن الشركيات و بعيد عن البدع و يقول له الشيطان إن أهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم فلا عليك، فانتبه إلى لهذا المدخل يقول لا عليك فيبدأ يدخل عليه يقول أنت صاحب سنة و عقيدتك صحيحة فيبدأ يدخل عليه من هذا المدخل، يُضعف فيه جانب العمل، يجعله يُفرط في الواجبات و رُبما يفعل بعض المنكرات ثم هو بينه و بين نفسه يقول أنا صاحب عقيدة صحيحة، أنا صاحب إيمان سليم، و لا يزال الشيطان يهدم دينه و يدخل عليه من مثل هذه المداخل، أعاذنا الله و إياكم، اللهم أعذنا من الشيطان الرجيم و من خُطواته يا رب العالمين. ثم قال رحمه الله تعالى: " و وجه الاعتبار " و وجه الاعتبار، وجهه الاعتبار في ماذا؟ و وجه الاعتبار الشيخ رحمه الله تحدث أن صاحب السنة و العقيدة الصحيحة يُضاعف أعماله و صاحب العقيدة الفاسدة تقعد به عقيدته، ذاك تُضاعف أعماله و ذاك تقعد به عقيدته و تكون سببًا لرد عمله، فما وجه الاعتبار في ذلك؟ ما وجه اعتبار التضعيف العظيم لصاحب السنة و صاحب العقيدة؟ قال: "و وجه الاعتبار أن أهل السنة مهتدون، وأهل البدع ضالون" نعم أهل السنة مهتدون، أعماله التي يقوم بها يقوم بها على هداية، يقوم بها على بصيرة، يقوم بها على سنة و الآخر ضال عنده أعمال كثيرة؛ دليلك على العمل؟ لا تجد عنده سنة، إما يكون رأى منامًا فبنى عليه عمل أو بنى على ذوق أو وجه أو نحو ذلك أو بنى ذلك على قصة أو بنى ذلك على تجارب له و لأشياخه أو بنى ذلك على قصص و حكايات أو غير ذلك من أمور تُبنى عليها أعمال كثيرة و تجد أناس عُكوف على أعمال و على أذكار و على عبادات لا يُفارقونها و

يجتهدون في القيام بها اجتهادًا عجيبًا بعضهم يُصلى الفجر و يمكث في مُصلاه إلى التاسعة، إلى العاشرة في أذكار كلها بدع أو كثيرٌ منها بدعٌ لا أصل لها في دين الله سبحانه و تعالى. إذا كان النبي عليه الصلاة و السلام قال لجوَيْرِيَة، هي جوَيْرِيَة، قال لجوَيْرِيَة رضي الله عنها و قد جلست في مُصلاها قال: { **لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلته لوزنتهن: سبحان الله و بحمده عدد خلقه و رضا نفسه و زنة عرشه و مداد كلماته**} وكانت أذكارها رضي الله عنها على السنة لكنه عليه الصلاة و السلام جاء بذكرٍ مُضعّف، جاء بذكرٍ مُضعّف قال: { **لو وزنت بما قلته لوزنتهن** } فكيف إذن الحال بمن يجلس من بعد الفجر إلى التاسعة مثلًا أو قبلها أو بعدها في أذكار مُحدثة و في أمور ما أنزل الله بها من سلطان. بعضهم يُمسك سبحتهُ و يسحب فيها بعد الفجر سحبًا إذا رأيته ما تراه يعدْ، يسحب عشرين خرزة دُفعة واحدة، ما تراه يعدْ تسبيحات و يستمر في هذا السحب. قال لي أحدهم ممن كان كذلك و تاب من ذلك العمل قال هذا نفعله و نُكثر منه في الصباح سحبًا للبركة قال هذا القائل نفعلُ ذلك سبحًا للبركة؛ و يُقال يا هذا أيُ بركة هذه التي تُسحبُ بهذه الطريقة؟! و متى كانت البدع مجلبةً للبركة؟! البدع كُلها تمحق البركة، البدع كلها لا خير فيها، البدع كلها ضررٌ على صاحبها و قد قال النبي عليه الصلاة و السلام قولًا جامعًا في هذا الباب: {**كل بدعة ضلالة** }، قال:{**خير الهدى هُدى محمد صلى الله عليه و سلم و شر الأمور محدثاتها**}، البدعة شر لا خير فيها و متى كان الشر مجلبة للبركة و الخير؟! و تُمارس هذه الممارسات و نظائرها

وأمثالها طلبًا للخير. و ينبغي أن يُتنبه في هذا المقام أن كثير من هؤلاء يعملون هذه الأعمال و إذا سُئلوا قالوا "والله ما أردنا إلا خير" ، و هو صادقون في هذا اليمين ما أرادوا إلا الخير لكن كما بن مسعود رضي الله عنه و أرضاه { **و هل كل من أراد الخير أدركه**} فإدراك الخير لا يكون إلا بإتباع السنة المحضة التي كان عليها نبينا عليه الصلاة و السلام. كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى:{ **ما لم يكن دينًا زمن محمدًا صلى الله عليه و سلم و أصحابه فلم يكون دينًا إلى يوم القيامة**} مُستشهدًا في قوله جل و علا ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ المائدة: ٣ قال:" ووجه الاعتبار أن أهل السنة مهتدون، وأهل البدع ضالون. ومعلوم الفرق بين من يمشي على الصراط المستقيم، وبين من هو منحرف عنـــه إلى طرق الجحيم" ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ الملك: ٢٢ قال الله تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣ ، خط النبي عليه الصلاة و السلام خطًا مستقيمًا و خط على جنبتيْه خطوط و قال:{ **هذا سبيل الله و هذه سبل و على كل سبيل منها شيطان يدع إليه** }، و السبل التي تجنح بالإنسان و تحرفه عن صراط الله المستقيم كثيرة جدًا، ففرق بين عامل

يعمل و لو كانت أعماله قليلة لكن يمشي على الصراط المستقيم و بين شخصٍ عنده أعمال و لو كانت كثيرة لكنها في سبيل من تلك السُبل المُنحرفة عن صراط الله المستقيم؛ لا يُسوى بين هذا و هذا، هذا سنته و عقيدته و إتباعه و تأسيه سبب لقبول أعماله و تضعيفها و هذا بدعه و ضلالته و أهواءهُ سبب لرد أعماله و لو كثرت فالمقام جِدُّ خطير و أيضَا جِدُّ مُهم في هذا الباب، باب تضعيف، تضعيف الأعمال، تضعيف الأعمال. قال: " وغايته أن يكون ضالاً متأولاً " غاية ما يكون من هؤلاء أن يكون ضال و مُتأولَا، ضال و مُتأولَ يضن أنه على شيء أو على حق أو على هدى لكن جنحت به السُبل و انحرفت به الأهواء عن صراط الله المستقيم.

خلاصة الأمر أن الإمام رحمه الله تعالى نبه في هذا الموضع على أهمية صحة العقيدة و قوة الإيمان بالله و قوة الإرادة و قوة الرغبة و هذه جوانب مهمة يحتاج أن يعتني العبد بها. و لهذا ينبغي حقيقة أن تُكثف الدروس في العقيدة الصحيحة و التوحيد و أن يُعتن بتعليم الناس الاعتقاد و تعليمهم التوحيد و تعليمهم الهدي القويم؛ الناس يحتاجون حاجة ماسة إلى هذا الجانب تعليمًا و تفقيهًا. و قول نبينا عليه الصلاة و السلام:{ **من يُرد الله به خيرًا يُفقه في الدين**} يدخل فيه الاعتقاد دخولًا أوليًا لأن الاعتقاد هو الفقه الأكبر، لأن الاعتقاد و الإيمان بالله هو الفقه الأكبر الذي يقوم عليه دين الله سبحانه و تعالى. و في السبب الذي قبله نبه رحمه الله تعالى على مكانة الإخلاص و مترلته العلية في تضعيف الأعمال و مما يُنبه عليه في هذا المقام أن أمر الإخلاص أمر عظيم و مقامه خطير جدًا و

النفس، نفس الإنسان تأتيها من الأمور المُتوالية ما تجعل جانب الإخلاص يتفلت و لهذا العبد محتاجٌ دائمًا إلى أن يُعنى بنفسه في جانب الإخلاص تقويةً له و إزالة للأمور التي تُضعفه. قال الإمام سفيان بن عيينة أو سفيان الثوري أو الأوزاعي أحدهما قال:{ **ما عالجت شيءً أشد عليَّ من نيتي**}، ما عالجت شيءً أشد عليَّ من نيتي، بمعنى أن النية تحتاج إلى مُعالجة دائمة و مُستمرة إلى الممات و الإنسان يُعالج نفسه في النية. و في هذا المقام يحتاج العبد إلى عدة أمور الأول الدعاء، لأن قلبك بيد الله، قلبك بيد الله و قد قال عليه الصلاة و السلام:{ **ألا أدلكم على شيء إذا قلتموه أذهب الله عنكم قليل الشرك و كثيره؟** قالوا: **بلى**، قال: **تقولون اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك و نحن نعلم و نستغفرك لما لا نعلم**} و هي دعوة عظيمة في تحقيق الإخلاص، إخلاص قلبك و خلاص قلبك بيد ربك جل و علا فافزع إلى الله و أَلِح عليه بالسؤال أن يرزقك الإخلاص و أن يُعيذك من الشرك و أن يُجنبك الرياء و أن يُعيذك من الكفر، كان نبينا عليه الصلاة و السلام كُل يومًا إذا أصبح و أمسى يقول ثلاثة مرات{ **اللهم إني أعوذ بك من الكفر و من الفقر و من أعوذ بك من عذاب القبر**}، تَعَوَّذْ بالله من الكُفر، تَعَوَّذْ بالله من الشرك، سل الله تبارك و تعالى التوفيق للإخلاص و أَلِح على الله عز و جل بهذا الدعاء.

الأمر الثاني أن يقرأ الإنسان في مقام الإخلاص و مكانه، و مكانته العظيمة و ثوابه الجزيل و ما يترتب عليه من تضعيف الأعمال و عظم الأجور عند الله سبحانه و تعالى، أن يتذكر

أن أعماله مهما كثرت و تنوعت و تعددت لن تدخل في صالح عمله إلا إذا أخلص فيها لله سبحانه و تعالى، أن يتذكر أيضًا في هذا المقام أنه إذا راء الناس و عمل لأجلهم و طلب الشهرة عندهم و الصيت بينهم إلى آخر ذلك ماذا يُغنوا عنه من الله شيءَ و هو سيُفارقهم و يُفارقونه و جميعهم سيقفون بين يد الله تبارك و تعالى ثم يوم القيامة يُقال للمُرائي "اذهب إلى من كنت تُرائيهم فخذ أو أطلب أجرك عندهم" .فمثل هذه المعاني يستحضرها العبد و يُجدد استحضارها في قلبه و يسأل الله تبارك و تعالى و يُداوم على ذلك و التوفيق بيد الله وحدهُ. اللهم أجعل أعمالنا لك خالصة و لسنة نبيك صلى الله عليه و سلم مُوافقة، اللهم زِينا بزينة الإيمان و اجعلنا هُداةً مُهتدين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرِنا و أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا و أصلح لنا آخرتنا التي فيها معادُنا و أجعل الحياة زيادةً لنا في كُل خير و الموت راحةً من كل شر.